



ISSN : 2335-1071

فصل الخطاب



ISSN: 2335-1071

مختبر الخطاب المحجّج
أحواله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

العدد الثالث عشر

*Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret*

فصل الخطاب

ملف العدد:

- نحو الخطاب في العربية
- الحجاج القرآني، من السجال إلى المنوال
- حجاجية البلاغة العربية، قراءة جديدة للبلاغة العربية القديمة
- حجاجية المثل عند أكتف بن صفي، دراسة تحليلية
- المناظرة فعالية حوارية حجاجية

مارس 2016

مارس

2016

Mars

Revue n°13

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Mars 2016

العدد 13

المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

*Revue périodique a vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger*

Revue N 13

Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أسوله ومرجسياته وأفاقه في الجزائر
تسنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الثالث عشر

مارس 2016

ردمك ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغيتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدى المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.
2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.
3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .
4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط (Traditional Arabic) قياس 14 في المتن و 11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط Times New Roman قياس 12 في المتن و 10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسييات والأشكال فتكون صوراً IMAGE .
5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقوقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .
6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصنيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربيل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون - تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود احمد	د. بن يمينه رشيد
د. درويش أحمد	د. بوعرارة محمد
د. قادة عدة	د. بن فريجة جيلالي
د. كراش بخولة	د. مكينة محمد جواد
د. بوشريجة إبراهيم	د. عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد - جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر - البحرين
أ.د. بن جامعة الطيب - جامعة تيارت	أ.د. خلف الجردات - المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله - جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد - المغرب
أ.د. حسن نعمي - المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد - جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد - جامعة وهران	أ.د. توفيق بن عامر - تونس
أ.د. مرتاض عبد الجليل - جامعة تلمسان	أ.د. سطمبول الناصر - جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري - عين شمس - القاهرة	أ.د. خميسي حميدي - جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى - جامعة تيزي وزو	د. عباس محمد - جامعة سعيده

كلمة رئيس التحرير
بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل:...

الحمد لله العزيز الوهاب الذي أنزل على عبده ورسوله الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وصلى الله وسلم وبارك على محمد المصطفى من أظهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيده ربه بالمعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه الأكرمين خير أهل وأصحاب، الذين أورثهم الله الجنة وحسن المآب.

ها هي أعداد مجلة «فصل الخطاب» تتوالى، ولا يزال يحدوها ذلك الأمل الجميل، وكم يكون ورديا حينما يدخل في دائرة الحلم بعيدا عن إكراهات الواقع وإلزاماته، وكم يكون قاتما مثبطا حينما يخرج من دائرة الوجود بالفعل إلى حيز الوجود بالقوة، ومع ذلك تكون الرغبة جامعة حينما يقترن ذلك الطموح بالتحدي المعرفي.

إنَّ إيمان المجلة بما تعهدت، والوفاء به، بأن تظل على الخط الذي ارتسمته وارتضته في تخصيص ملف لمحور من الدراسات . بعد التحكيم السري . متى اكتملت مادته العلمية، ليبقى الخط الثابت في الدراسات هو الحجاج، سواء في الدراسات العربية أم الغربية، من جهة، وسواء في الدراسات النظرية، أم تلك التي تغيت الإجراء، وتعاملت مع النصوص بوصفها مدونات تتبارى فيها المناهج بمقولاتها وفلسفاتها ومفاهيمها من جهة أخرى.

هكذا يصدر العدد الثالث عشر من مجلة فصل الخطاب بالرغم من وعينا بتواضع الإمكانيات، فإن ما وجدناه من طاقات لدى من ساهموا في الأعداد السابقة ، ومن وعود مؤكدة في مساهمات مقبلة، ومن التشجيع الذي مافتئنا نتلقاه من طرف الأساتذة، ثم من سهولة الإنجاز الفعلي الذي توفره التكنولوجيا الرقمية، كل ذلك، يشكل مدعاة للتفاؤل بمستقبل مجلة فصل الخطاب.

مع صدور العدد الثالث عشر تكون المجلة تجاوزت عامها الثالث. وبعد أن كنا نسير في طريق شائكة بغير قليل من البحث والتأمل والترقب، أمام تنوع تجارب النشر الإلكتروني كما وكيفاء، تلك التي اخترنا أن نتقاسم إلى جانبها نفس الفضاء وأن نقارب انطلاقا من تصورنا قضايا وإشكالات ثقافية وإنسانية، ومعرفية صار لمجلتنا فضاؤها وكتّابها وتشكلت لها هويتها العلمية والمعرفية المتخصصة التي تعنى بالحجاج ووسائل الاقناع في كل تجلياته وتحثفي بأوليته ومركزيته في تأسيس المعرفة البشرية وفي تطورها.

داخل هذا السياق من التطور الذي تعرفه المجلة يتضمن العدد الثالث عشر تشكيلة من المقالات والدراسات ذات الفسيفساء المتنوعة من حيث الموضوعات والأحجام والمواد و

أنماط القراءة، بحسب توجه كل باحث في اختيار زاوية النظر التي يقرأ ويحلل من خلالها، والمجلة بقيت وفية لخطها العلمي والمعرفي، فلا إقصاء ولا تهميش ولا محاباة، إلا للمعرفة .

وعلاوة على أن المجلة تسعى دائماً إلى الاحتفاء بالدراسات الحجاجية وكل ما يمت إليها بصلة، أو ما يدور في فلكها بشقّيها التراثي والحداثي إلا أنها بصيرة بضرورة أن تلامس كعادتها أطرافاً أخرى لمجالات بحثية في اللغة والأدب والفكر عموماً، معالجة تتم بمستويات متباينة سواء في الجانب النظري المحض، أو في شقه الإجرائي التطبيقي .

ففي هذا العدد من مجلة فصل الخطاب ثلة متنوعة من الكتابات والبحوث الأكاديمية، ومن المقاربات التي انصبت على دراسة الحجاج : الحجاج القرآني من السجّل إلى المنوال الدكتور: مؤيد آل صوينت وحجاجية البلاغة العربية قراءة جديدة للبلاغة العربية القديمة، ثم حجاجيّة المثل عند أكثم بن صبيّ دراسة تحليلية وانفتاح النص الحجاجي على فضاء المعرفة اللسانية تقنية الإحالة نموذجاً وحجاجية الشكل الكتابي المعاصر "دراسة نظرية والمناظرة فعالية حوارية حجاجية وتجليات الحجاج في الشعر الجزائري المعاصر "برقية من الجبل أنموذجاً" بالإضافة الى دراسات أخرى تنوعت بين دراسة المصطلح والشعرية نحو الخطاب في العربية وتجليات الصوفية في الشعر المعاصر، وهي مقاربات متنوعة من حيث المجالات التي تستقي منها، ومتنوعة كذلك من حيث طرائق الطرح وسبل المعالجة ووسائل تحقيق الأهداف. وثمة مواضيع أخرى سيجدها القارئ سواء في مفهوم المعاصرة أو الحداثة على ما بينهما من فارق في المصطلح والدلالة ، كما سيلقي مقاربات أخرى في السرديات والمناهج الحديثة سواء في تحليل الخطاب أو دراسة الظواهر اللغوية. وهو تنوع ثري يفرضه علينا وفاؤنا للعقد المعنوي بيننا وبين الباحث من جهة ، وبيننا وبين القارئ من جهة أخرى .

والله نسأل ان تكون هذه المقاربات المختلفة لا شيء يحدوها إلا لعلم والمنهج والمعرفة .
والله من وراء القصد

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

نحو الخطاب في العربية

أ. د. عبد الجليل مرتاض

جامعة تلمسان - الجزائر

كل متكلم أو مبدع مخير ومجبر فيما يلوح له أن ينسجه في خطابه، فلا يوجد متكلم خارج هذه الثنائية التي تلزمه سواء في لغة مسقط رأسه أو فيما يكتسب من لغات خارج لغته الطبيعية، ومن ثم، لا يوجد إطلاقاً فرد يمتلك لغة مستقلة خاصة به، ولكنّه لا يُمنع أن يحوز كلاماً، هذا الكلام، هو التبليغ، هو الملفوظ، هو النص، هو الخطاب،... إن كان كل هذا يمثل درجة أعلى من الجملة، وهو جملة إن كان دون ذلك، حتى وإن كنا نتحفظ جزماً إزاء كل مصطلح من هذه المصطلحات التي نتمنى أن يتضح جزء منها فيما سيلحق في هذا العمل تدريجياً.

الكلمات المفتاحية: المبدع، الملفوظ، الخطاب، التبليغ، نحو النص، نحو الخطاب.

Towards a Discourse in Arabic

Abstract

Every speaker or creator is chosen and forced in what he prefers to write in his speech. There is no speaker outside this duality, which is required both in the language of his hometown or in the languages acquired outside his natural language. Therefore, there is absolutely no individual who has his own independent language, yet he is not permissible to acquire words, that is to say, this speech is the report, is the spoken, is the text, is the discourse,...if all this represents a higher degree of the sentence, which is a sentence if it is not, even if we strictly reserve for each of these terms, which we hope a part of it will be clarified gradually in this work.

Keywords: creator, discourse, terms, report, duality

قبل أن ندخل عالم اللسانيات الحديثة ومصطلحاتها التي تتفاوت وضوحاً وغموضاً ما بين كل مدرسة لسانية وأخرى، فإننا ارتأينا أن نستقرئ ما يُسَمَّى "نحو النص" أو "نحو الخطاب" من خلال تراثنا اللساني العربي العزيز في منعته وشموخه، الغزير في نتاجه، الصائب في مظانّه، الثري في آرائه.

نحن نعلم سلفاً أن أي مرسلة لغوية لا تتم بدون باثّ يعبر عن خواجه النفسية وأغراضه الشخصية، ومتلقّ يلتقط هذه المرسلة منفعلاً أو غير مكترث، كما نعلم أن ثمة تلازماً

تاريخ تسليم البحث: 08 جانفي 2015.

تاريخ قبول البحث: 15 فبراير 2016.

بين الفكرة وما يجسدها من أصوات أو فونيمات متميزة لا تتقدم فونية ولا تتأخر في بناء ما يرسله الباث أو المتكلم شفهيّاً كان أم كتابيّاً، وذلك باعتبار اللسان ظاهرة صوتية اجتماعية ذات أبعاد وظيفية فيما يراد لها من مقاصد ودلالات، ومن هنا نستطيع أن نجزم بقوة أنّ الإنسان خاضع ومُخضع لمن يشركه في تواصله.

ومع ذلك، فإن نحو أي خطاب لا تمثّل أبنيته في فراغ، فهو فقير معدم في نفسه، غني باذخ في غيره، ولا تقوم له قائمة بدون خطابه الذي يجسده، كما أننا لا نستطيع أن ننفي عليه صفة دالّ لا ينهض مدلول إلا به، أو صفة مدلول لا يحيا دال إلا بوجوده، كم لغة استغنت تماماً عن ظواهرها الإعرابية، وبقيت حية بدونه، وكم لغة استغنت عن ظواهر منه، وعاشت دون أن تكون عالية عليه، ولعل عاميتنا التي تعدّ بالمئات، بل بالآلاف على مستوى البلاد العربية، كُسّر محصولها النحوي والصرفي، والعرب يتخاطبون بعاميتهم دون عناء.

ينبغي ألا يُفهم من إشارتنا هذه أننا نقلل من أهمية المستوى النحوي بالنسبة إلى النظام اللغوي خاصة في لغة كالعربية التي تجسّد منذ أربعة عشر قرناً قرناً عربياً المستوى النحوي في خطابه الذي يقع به الإفهام مما جاء وحياً من عند الله، والفهم من السامع، منذ نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم إن علماء اللغة العرب أدركوا منذ ظهور علوم اللغة عندهم، أنه لا يمكن أن يُؤتى معنى من مَفْصِلَةٍ إلا بمستويين: الإعراب والتصريف، فالإعراب تميّز به المعاني ويقف المتلقي عبره على تحليل المرسلة اللغوية، التي تَوْقُرُ أذنه. فلو قال قائل: "ما أحسن زيد" بالسكون قياساً على اللغات التي هجرت أو هاجرها إعرابها، غير معرب لم يقف المتلقي على فحوى المرسلة الملتقطة. فإذا قال: ما أحسن زيدا! أو: ما أحسن زيداً، أو ما أحسن زَيْدٍ؟ أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده (ما الأولى تعجيبيه، وما الثانية نافية، وما الثالثة استفهامية) والحديث قياس في تراكيب أخرى.

وإذاً، كل ما أردنا أن نقوله إن نحو خطاب في لغة أو لغات أشد ضرورة منه في نحو خطاب لغة أو لغات أخرى. فلو قلت: "هذا غلاماً أحسن منه رجلاً" تريد الحال في شخص واحد (غلام) ولو قلت: "هذا غلام أحسن منه رجلاً" فهما هنا أمامك شخصان، ولو أرادت أن تترجم التركيبين العربيّين إلى لغة كالفرنسية، لأمكنك أن تقول: "ce jeune homme est plus mieux qu'un homme" ولا تستطيع أن تجد لها ترجمة سانتكسية ثانية في هذه اللغة لتؤدي معنيين لا معنى واحداً لا يخلو من غموض سانتكسي إذا راعينا السانتكس العربي.

وأحسب أن الأمر من قبل ومن بعد مرتبط بطاقة خَلّاقة في كل لغة على حدة أزيد مما هو موصول بلغة في ذاتها، نحن لا ننكر أن اللغات كلها متساوية في هدفها الوحيد المتمثل في

التبليغ، وأن عناصر التبليغ التي تشترطها لغة واحدة هي نفسها مشترطة سلفاً في سائر اللغات الصوتية الأخرى، بما في ذلك تلك اللغات التي قد تُسمَّى خطأً بدائية أو غير متطورة أو حية... ففي لغة كالعربية التي لم تُشَرَّف صدفة لآخر تنزيل إلهي، يوجد فيها ما يتفق مع كل اللغات من إواليات وآليات تقنية للاضطلاع بأية مرسلات لغوية مجردة أو ملموسة، ولكنها في الوقت نفسه قد تنماز عن سواها بآليات لسانية طاقوية داخلية، وهذا التفاوت الطاقوي بين اللغات في ممارسة تبليغاتها وخطاباتها هو عنوان هويتها؛ لأن ضعف الطاقة اللسانية في لغة ما لا ينجّر عنه فترة بعد فترة إلا الاندثار لهُويّتها، لحياتها، لكيونتها، بحيث تصبح إن عاجلاً أم آجلاً في خبر كان.

ومما يُؤسَف له أنّ العرب الآنّيين غدوا لا يشعرون بهذه النعم الطاقوية المُسَبَّغة على لغتهم التي كثيراً ما يفضلون عليها رطانات أعجمية بحكم سعة انتشارها لظروف استعمارية نابت عنها لاحقاً عوامل اقتصادية وتقنولوجية وجيوسياسية... حتى أصبحت العربية الحديثة عالية على طاقتها المرجعية القديمة، لقلة الإبداع وضآلة إنتاج المعرفة بها واستحلابها، حتى إنه يمكن القول إن عربيّتنا الآنّية صامدة بفضلها أكثر مما هي صامدة بفضلنا.

أيا كان الأمر، فإن العلاقة بين النظام النحوي وكافة أنظمة أية لغة علاقة حميمية، ولا يخطر ببالك أن تتصور يوماً خطاباً أو نصّاً بدون عناصره النحوية، وإلا تصورت جداراً يُبْنَى بمواد بنائية دون مستلزماته، وإذا ما غاب هذا النظام في شكله المعهود، فإن الخطاب لن يُبْنَى بدون نظام آخر غير معهود، فعامياتنا فقدت إلزامها بالحركات الإعرابية على آخر كلماتها، ولكن بنية أية جملة منها لا تعدم نظاماً نحوياً ما، حتى وإن كان مكسّراً أو مشوّهاً بالنسبة إلى أي خطاب كلامي فصيح، واللغات الغربية الحديثة التي فقدت إعرابها المعهود في أمّتها التي انبثقت عنها عوّضته بأنظمة سانتكسية سمحت لها بتقمص هوية لسانية مستقلة.

ومما لا شك فيه أن أي نحو خطاب إلا وتجده متضامناً مع كل العناصر اللغوية التي تصحبه من بدايته إلى نهايته، وهذا النحو لا يتضح اتضاحاً كاملاً إلا باتضاح بنيته كلها، ولعل هذا ما قصده دي سوسور بقوله: "وفي اللغة كما في أية منظومة أعراضية أخرى أن ما يميز علامة ما، إنما هو كل ما يشكلها، وهذا الاختلاف هو الذي يشكّل الصفة، كما أنه يخلق القيمة والوحدة معاً... إن كل عبارة إنما لها حضور عبر الواقعة النحوية... وهذه الواقعة مكوّنة من مجموعة تقابلات في المنظومة، وإذا ما قدّرنا Naïchte (ليالي) و nacht (ليل) منعزلتين، فهما ليستا بشيء: إذاً فكل شيء هو تقابلي، وبعبارة أخرى نستطيع التعبير عن العلاقة بين Nacht: Naïcht بصيغة جبرية - آ/ب حيث إنهما - أي آ وب - ليستا حدّين بسيطين، بل إنهما تنجمان عن مجموعة العلاقات... وبعبارة أخرى أنّ اللغة شكل وليست مادة"⁽¹⁾.

نحو الخطاب في العربية

جملة نصل الخطاب

إننا نعلمنا تلخيص بعض ما جاء عند دي سوسور، لأننا رأينا أنه يتناسب تناسباً كثيراً مع ما نحن فيه، لكن قوله المشهور: "فقيمة الكل هي في أجزائه، كما أن قيمة الأجزاء تتأتى من مكانتها في هذا الكل أو ذاك، ولهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل، كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها"⁽²⁾ الذي عُدَّ من كل اللسانيين النواة الأولى للبنية للاحقاً، هو أكثر توضيحاً لما أترناه بشأن العلاقة الحميمة بين ما تقدمه لنا اللغة من كلمات مستقلة مبعثرة وما تُنسج به اعتماداً على النظام النحوي الذي ينسجها لدى متكلم بشكل غير الشكل الذي تُنسج به لدى متكلم آخر، وإلا كنا نقول الشيء نفسه، وذلك رغم أننا نستعمل على مستوى لغة واحدة قواعد نحوية واحدة، وهنا المفارقة، وهنا تبدو أهمية النظام النحوي الذي لا يُتصوّر خطاب بدونه.

وما يوجد من كلمات لغوية تبدو وكأنها مستغنية عن الواقعة النحوية، فإنها قبل أن تؤول إلا ما آلت إليه كانت جملاً ثم تقلصت من كثرة الاستعمال إلى أشباه جمل عادة ما يدل بقي من نويات دنيا على ما حذف منها من عناصر يرفض موقف الخطاب وجودها، كما في قوله تعالى: "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى" فوحدة "بلى" شبه جملة ظاهرياً، ولكنها تشكّل في بنيتها الدلالية جملة كاملة، أي: "بلى + أنت ربنا". وقولك: "شكراً" إجابة لمن قال لك مثلاً: "تفضل، اجلس" أو "تناول هذا أفضل من هذا" أو "هل لك في شرب فنجان قهوة؟"،... ومثل هذه الكلمات المستغنية عن العلاقات التركيبية قليلة في كل لغة: نعم، لا، ولم لا؟، طبعاً، أوف!، آه، (كلمة تقال عند الرضا بالشيء، هي مبنية على الكسر والتنوين، وقد تُخفّف أي بخ). وإذا، فهناك لعبة مزدوجة في الخطاب بفضل ما تختزنه ذاكرتنا الفردية من اكتسابات لغوية مفردة ومركبة ومذكّرة ومؤنثة،... بصورة آلية، بحيث غدت اكتسابات أفقية متراكمة ودون تكتل ولا تمازج، ومتى فكرنا في استحضار وحدة أو وحدات منها، فإن ما يتقاطع معها عمودياً يتراءى لنا ترائياً لا شعورياً أيضاً، أي قبل أن يقوم اختيارنا على أي وحدة منها، فلو مثّلنا ببيت شعري:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ ر، وَهِيَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا

وحلّلناه لكان معنا:

الوحدات	التماثل	
	أفقياً	عمودياً
قُرَيْشٌ	دابة تسكن البحر	النضر بن كنانة أو فهر بن مالك
هي	ضمير منفصل للغائبة	هو
التي	اسم موصول مؤنث	الذي

تسكن	مسند إلى غائبة	هو يسكن
البحر	البحر	البر
بها	بها	به
سُمِّيَتْ	سميت	سُمِّيَ
قُرِئَتْ	اسم شخص	أب قبيلة
قُرِئَتْ	(مكرر)	(مكرر)

ومن الوحدات اللغوية في لغة كالعربية ما يكون مزدوج الدلالة أي يدلّ على مدلولين بدلاً واحد، كما نجد فيما يُسَمَّى عندنا بالأضداد، كقول العرب: عَسَسَ الليل: إذا أقبل، وعَسَسَ الليل: إذا أدبر، ومنه قوله تعالى: "إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا". وأنت ترى أن "الساعة في الآية الدالة على يوم القيامة تقابلها الساعة الزمنية، الوحدة "آتية" يمكن أن تقابلها وحدة أخرى، وَلَتَكُنْ مُؤَيَّةً" أو "راجعة" أو...و"كاد" فعل من أفعال المقاربة الثلاثة: كاد، أَوْشَكَ، كَرَبَ للدلالة...على قرب الخبر، وهنا يُدَلِّ بها على قُرْب الساعة التي هي في علم الله وحده، ويمكن أن يُقَابِل (أكاد) بفعل الرجاء (اخلوق) ، لأن الفعلين الآخرين (عسى وحرى) ليس لهما مضارع، أو يقابل فعلاً من أفعال الشروع الخمسة (أنشأ، طَفِقَ، جعل، عَلَقَ، أخذ) لكن هل من الأقرب أن يُقَابِل "أكاد" بأحد أفعال المقاربة التي لم تزل بصيغة الماضي فقط، وهي أربعة: كاد، أَوْشَكَ، طَفِقَ، جعل؟ لكن الممارسة الدالة لا تستسيغ منك أن تقول: أَطَفِقُ أو أَجْعَلُ أُخْفِيهَا، ولكنها لا تمنعك من القول: أَوْشَكَ أُخْفِيهِ، أي الفعل "أكاد" يقبل منك، كما جاء في القرآن، تماثلاً عمودياً، لأن أَوْشَكَ وكاد سيان ويؤديان الوظيفة النحوية والدلالية نفسها. بينما "أخفها" تُقَابِلُ "أظهرها"، وهي من الأضداد، كقول امرئ القيس⁽³⁾ :

خَفَاهَنَّ مِنْ أَنْفَاقِيَنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهَنَّ وَذُقْ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبٍ

والشاعر استعمله ثلاثياً بمعنى أن الفرس الموصوف لشدة عدوه ووقع حافره جعل الفئرة تخرج من جِحْرِهِنَّ ظناً منها أنه مطر، فَخَفْنَ أَنْ يُسِيلَ الْأَرْضَ فَيَغْرِقَهُنَّ.

وعموماً، فإن الواقعة النحوية تكون ماثلة في أي وحدة لغوية دالة ما لم تتعدّد دوالها مشاراً بها إلى مدلول واحد، فكلمة "الخطوة" بالضم في الخاء (ما بين القدمين) لا تخلو من واقعة نحوية ما دامت تقابل على الأقل ثلاثة جموع قلة (خُطُوات، خُطُوات، خُطُوات) ، هذه الجموع الثلاثة هي بدورها لا تخلو من واقعة نحوية طالما أنها تقابل جمع كثير (خُطُ) ، كذلك "الخطوة" بفتح الخاء تتضمن واقعة نحوية بيّنة لأنها اسم المرة الواحدة، وهي بدورها مشحونة بواقعة نحوية أيضاً ما دام جمعها خُطُوات بالتحريك وخطأً.

فأنت ترى أنّ ما من وحدة لغوية إلا وهي مشحونة بواقعة نحوية ما في لغة كالعربية، إلى درجة أن وحدات منها قد تتعدد وقائعها النحوية على مستوى دالّ بعينه، من ذلك مثلاً أن

الفعل "رأى" إذا تعدى إلى مفعول واحد دالّ على الرؤية بالعين، وإذا تعدّى إلى مفعولين دلّ على العلم، أي حين تتغير الواقعة النحوية تتغير الدلالة. وهنا نقول: هل الوحدات اللغوية التي يقتضيها الخطاب هي التي تستحضر آلياً الوقائع النحوية أم هذه الأخيرة هي التي تستدرج وحدات نحوية وتهمل أخرى؟ وبدلاً من أن ندخل في تيهان، يحضّرنا أنّ كل وحدة لغوية في بنيتها خارج التركيب ممزوجة بواقعة نحوية ما أو بما يشبهها سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر.

وبناء على ما ألمح إليه آنفاً، فمن المستوجب منا أنه لطالما رُمنا الحديث عن الخطاب أن نضع في نصب أعيننا أننا نتحدث في الوقت نفسه عن نحو هذا الخطاب، وكلما رُمنا الحديث عن نحو الخطاب، أن نضع في حسابنا أننا نعالج خطاباً، رغم أن النحو خارج استعماله عادة ما يبدو لنا مجرداً من أية لفاضة، وعادة ما نهتم إلا بأقسام الخطاب التي تتضمنها كل لغة دون الاهتمام بمعطيات لسانية أخرى تصحب وتعزّز هذه الأقسام.

ومع ذلك، ورغم ما تمنحنا اللغة وحدات لسانية مستقلة لا تخلو من بصمات نحوية حتى خارج علاقاتها السانتكسية، كما أشرنا أعلاه، فإن هذه الكلمات تظل، مع ذلك عالية على العلاقات السانتكسية حتى تؤدي دلالات فارقة بعيدة عن أي غموض في الخطاب، من ذلك أن الدال قد يكون دالاً صوتياً واحداً، ولكنه ينهض بأكثر من مرسلّة لغوية، أي ينهض بأكثر من مدلول، كقولهم: "وَجَدْتُ الضَّالَّةَ، ووجدت في الغضب، ووجدت في الحزن، ووجدت في الاستغناء، ثم يجعلون الاسم في الضالة "وجوداً" و"وجداناً" وفي الحزن "وَجْداً" وفي الغضب "مَوْجِدَةً" وفي الاستغناء "وُجْداً".

وينبغي في كل خطاب عفوي بلغة طبيعية لا شعورية أو خطاب منسوج للغة مكتسبة اكتساباً شعورياً ألا نتجاهل العادات الكلامية الموروثة في ثنايا خطاب لا سلطة لنا عليه إلا سلطة التلقي، العادات الكلامية المعتاد بين القوم، كقول بعضهم طبيعياً⁽⁴⁾:

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَأَوْلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْ

ويفسرونه "إنما أرد وإن شراً فشرّ، فَحَذَفَ الشَّرَّ لَعَلَّمَ السَّامِعَ، وَأَثْبَتَ الْفَاءَ وَأَتْبَعَهَا

الْأَلْفَ الْقَافِيَةَ إِذْ كَانَتْ مَفْتُوحَةً، كَقَوْلِهِ:

خَلَّى اللُّؤْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنَّ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

فهذه تسمى ألف الإطلاق، وكذلك الواو إذا كانت قافية مرفوعة، والياء إذا كانت القافية

مجرورة، وقوله: إِلَّا أَنْ تَأْ، يريد إِلَّا أَنْ تُرِيدَ فَأَثْبَتَ التَّاءَ وَأَتْبَعَهَا الْأَلْفَ لِمَا ذَكَرْتُ لَكَ، وهذا

الحذف كالإيماء والإشارة يقع من بعض العرب لفهم بعضٍ عن بعضٍ وليس هذا هو البيان، لأن

البيان ما لم يكن محذوفاً وكان مُسْتَوْفًى شائعاً⁽⁵⁾.

ومن عاداتهم الخطابية قوله تعالى: "فبَشَرُهم بعذاب أليم"، ومتى كان العذاب بشرياً، ولكنه جعل (العذاب) يقوم مقامها، وهذا أشنع لمن يكتنز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله.

ومن عادات العرب الخطابية أيضاً: "عِتَابُهُ السيف أي الذي يقوم مقام العتاب السيف، ومنه قول عمرو بن مَعْدِي كَرَبٌ⁽⁶⁾ :

وخيَلٍ قَدْ دَلَفْتُ بِهَا بِخِيلٍ تحيَّةٌ بينهم ضَرْبٌ وجيغ

وهذا ما يسميه الدارسون العرب القدماء بـ"المجاز".

ولم يعد الواحد منا يقول: "على ما حَيَّلْتُ" في معنى "على كل حال" كما كان الفصحاء يقولون:

فَلَيْتَ دَفَعْتَ الهمَّ عني ساعةً فبِئْنَا على ما حَيَّلْتُ ناعِمِي بال

ولا وجود نحوياً الإضممار (الإخفاء) بعد الحروف المشبهة بالفعل، مثلما أضمر هذا المتكلم بعد "لَيْتَ" (أي ليت لا يلما فعل فأضمر أي حذف كاف المخاطب (ليتك) أو الآخر بعد "كأن":

كَأَنَّهنَّ الفَتَيَاتُ اللُّعْسُ كَأَنَّ في أَظْلَالهنَّ الشَّمْسُ

لم يعد الواحد اليوم يدعو بعائر بالدعاء العربي القديم: "لَعَا له أو لَعَا لك:

بذاتِ لَوْثٍ عَقَرْنَا إِذَا عَثَرْتُ فالتَّعْسُ أدنى لها من أن أقول: لَعَا

فهذا العربي يريد أن يقول: أدعو عليها أخرى من أدعو لها،...

وتأمل نحو الخطاب الاتي كيف يتلَوْنَ ويتقلَّبْ تَلَوْنٌ وتقلَّبْ الدلالات والمقاصد، من ذلك قول النابغة الجعدي⁽⁷⁾ :

فسلامُ الإلهِ يَغْدُو عليهم وفَيُوءُ الفِرْدَوْسِ ذاتِ الظلالِ

حيث أنت الفردوس على أنه الجنة، وهو مذكر، "الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"⁽⁸⁾ وفي القرآن:

وقال بعض العلماء "والْفُيُوءُ جمع الفَيءِ، وليس في الجنة فَيءٌ إنما الفَيء ما كان شمساً فَتَسَخَّهَ الظلَّ، فذلك الفَيءُ، وأما الظل فمستقيم. قال: "أَكُلُّها دائِمٌ وظِلُّها" وقال: إنَّ المتقين في ظلالٍ. ويجوز أن يكون الظلال جمع الظلَّة، وفي القرآن: "وظِلٌّ ممدود"، التأنيث في الفردوس أجود، وبين ذلك القرآن"⁽⁹⁾ لأن التذكير في تقديم بعضهم يذهب بدلالة الفردوس إلى دلالة البستان، بينما جمع الفَيء أفياء للقليل، وفُيُوءٌ للكثير،...وأما قوله عز وجل: "إنَّ المتقين في ظلالٍ وعيون"، فالباب أن الظلال في هذا المقام جمعُ ظِلٍّ، لأنه لو كان جمع ظِلَّة لكان الجمع ظِلَّلًا.

وفي هذا المقام قال ابن قتيبة: "يذهب الناس إلى أن الظلَّ والفَيء بمعنى واحد، وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية، والفَيء لا يكون إلا بعد الزوال، فلا يقال لما قبل الزوال:

فيء، وإنما سُيِّ بعد الزوال: فَيُنْأَى، لأنه ظِلٌّ فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق⁽¹⁰⁾ وقال غيره غير ذلك.

ومن ثم، لا نعجب إذا كان القرآن وظَّف الفعل (فَاء) مرتين بمعنى الرجوع⁽¹¹⁾، وأما قوله تعالى الآخر: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ"⁽¹²⁾. فمن التفتُّو في فيها، أي التقلب مع الظلال كلما تقلَّبت ذات اليمين وذات الشمال ما دامت دلالة الفِيء، غير دقيقة، بدليل اختلاف اللغويين فيها، خلافاً للظِّل الذي لم يعبر عنه القرآن بدلالة الفِيء، لأن الخطاب القرآني من أكمل الخطابات دقة وحيطة، فهو أرقى من أن يستعمل وحدة تزول بزوال ما يوجدها. فالفيء عادة ما يُعْنَى به الظل بعد الزوال، كقول حميد بن ثور:

فلا الظِّلُّ من بعد الضَّحَى تستطيعه ولا الفيء من بعد العشيِّ تَدُوقُ
يصف سَرْحَةً (جمع سَرْح: شجر عظام طوال) مكثياً بها عن امرأته، بدليل قوله:
أبي الله إلا أن سَرْحَةً مالكٍ على كل أفنانٍ العِضَاءِ تَرْوُقُ

وما من كلمة وردت فيما أوردنا من خطابات سابقة إلا وهي مشوبة بواقعة نحوية ما، سواء أكانت مضمرة كإضمار الشاعر السابق كاف المخاطب (الضمير المتصل) في بعض الأفعال المشبهة بالأفعال، أو حذف خبر مبتدأ لـ "وظلَّها" مقدراً بـ "دائم" اتباعاً بالجملة المتبوعة "أكلها دائم". ومثل هذا كثير في القرآن. ودور نحو الخطاب أن يعمل أحياناً على الحذف والإضمار، كلما جنح إلى الاقتصاد اللغوي ورأى أن يعدل من الحمل على شيء بعينه إلى الحمل على المعنى غير عابٍ بالشكل الظاهري للألفاظ، أو الحذوفات المختلفة....

ومما هو بَيِّنٌ أن كلام العرب يعتمد نحو خطاب ذكياً كلما أمن اللبس والتقصير في بث رسالة كلامية للمتلقى سواء تعلق الأمر بخطاب كتابي أم شفهي، ولعل الكتابة العربية التي كانت خلواً من الشكل والإعجام والصوائت الطويلة تعطينا صورة بارزة لا يتطرق إليها الشك في تعاطي العرب للغتهم التي كانت تقوم عندهم، على الحذف والإيجاز والاقتصاد والإشارة والتلميح،... بوضعهم ألفاظاً استغنوا بواحدٍ عن ألفاظ كثيرة، بل غير متناهية، كأدوات الشرط والاستفهام ونحوهما، لأن قولك: "أين سمير؟" يغني عن قولك: "أفي الدار هو أم في...؟" و"كم نَعَجَةٌ؟" أغنى عن عشرة أم عشرين أم ألف أم مائة ألف؟، ونحوها من الأعداد غير المنتهية؟ وقولك: "من يقيم أقم معه" أغنى عن "إن يقيم س₁ أو س₂ أو س₃ أقم معه" وقولك: "ما في المتجر أحد" أغنى عن "ما بها س₁ ولا س₂ ولا س₃"....

ومع ذلك، فإن هذه القاعدة في نحو الخطاب لا تكون إلا في بابها، فالعوام من المتلقين للخطابات في حاجة إلى مراعاة ذوقهم وقصور أفهامهم وضحالة ثقافتهم، فالتطويل والتفصيل

أوجب في تبليغ مرسله إليهم، وكم كان ابن الأثير عظيماً وهو يلج على مراعاة العامة في استعمال كلامهم الركيك "ولفظ لفظهم المبتذل... وأنهم أنس به، وآلف له"⁽¹³⁾، لكن بعض الشعراء (البحثري) قال⁽¹⁴⁾:

عَلَيَّ نَحْتُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ بَأْنٌ لَا تَفْهَمُ الْبَقْرُ؟

ومن نحو الخطاب اجتزاءً بالمُسَبَّب عن السبب قوله تعالى: "قُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ"⁽¹⁵⁾ أي فضرب فانفجرت، لأن الضرب بالعصا التي هي معجزة سيدنا موسى يغني عن ذكر نتيجة الضرب "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى" (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَبِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى"⁽¹⁶⁾.

ومن نحو الخطاب، وهو مضمر، ما جاء على لسان حال الأعشى حكاية عن ابنته التي حاولت أن تثنيه عن سفره⁽¹⁷⁾:

أرانا سواءً وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ	تقول ابنتي حين جدَّ الرحيلُ
أبانا فَلَا رُمْتُ مِنْ عِنْدِنَا	فإنَّا بخيرٍ، إذا لَمْ تَرْمِ
يا أبتا لَا تَزَلْ عِنْدِنَا	فإنَّا نخاف بأن نُخْتَرَمَ
أرانا إذا أضمرتكَ البلا	د نُجْفَى، وَتُقَطَّعَ مِنَ الرَّجْمِ

نرى الشاعر أضمر الضمائر المسماة منفصلة مُعَبَّرًا بها بضمائر متصلة أو مضمرة (مستترة):

← هي (تقول) – أنا (أرانا) – هو (يَتِمُّ فعل ماضٍ).

← أَنْتَ (أبانا) – أَنْتَ (رُمْتُ) – نحن (فإننا) – أَنْتَ (تَرْمِ).

← أَنْتَ (أبتا) – أَنْتَ (لَا تَزَلْ) – نحن (فإننا) – نحن (نخاف) – أَنْتَ (تخترم)

← أنا (أرانا) – هي (أضمرتلك) – نحن (نُجْفَى) – هي (تُقَطَّعُ)

قد يبدو هذا التحليل للضمائر المنفصلة عادياً، وهو في حقيقة أمره مهم للوقوف على مدى الوضع الدلالي التابع لكل متكلم أو مخاطب أو غائب، وما سُيَّ الضمير ضميراً إلا لخفائه، ولا يتوقف معرفة المسند إليه والمنوط به إلا بالتوقف في آنٍ على ظاهر نيته.

وإذا كان الإضمار يغني عند البلاغيين والنحويين حذف تركيب أو جملة من الخطاب على حساب نية هذا الخطاب، فإن هذه الحذوفات لا تكون عشوائية ولا معقّدة حتى لا تؤدي نواياها إلى تأويلات متضاربة. ومن هذا الحذف للضمير قوله تعالى: قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا"⁽¹⁸⁾ أي هي النار، حيث حُذِفَ المبتدأ أو صرّح بخبره (النار). وقد يكون المحذوف جملة كاملة إذا اعتبرنا الهمزة همزة استفهام: أي أكثر شراً مما تُنبؤون به النار" أو: "أكثر شراً من ذلكم، النار التي تُنبؤون بها" أو "أكثر شراً النار التي توعدون بها"،...لأن وحدة

"شراً" دون ألف على أفعل، ومثلها "خير" إلا في لغة لبني عامر، وبها قرئ في الشاذ "مَن الكذابُ الأشر" (19).

ومثل ما جاء في الآية السابقة قد ينطبق، لكن بشكل آخر في قوله تعالى: "يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ" (20) (الحج: 73) فالفاء جواب لـ "إن"، ولا تكون هنا لـ "إذا"، "إن" للممكن، وهو ما يتناسب مع مضمون الآية، و"إذا" للمحقق قياساً على قوله تعالى الظاهر: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ" (21) وجعل حرف الشرط في هذه الآية محققاً لأن الخطاب حصر (خاص بالمؤمنين) بينما يقدر الشرط في الآية السابقة (الحج: 73) ممكناً، كالفرق بين قولك: "إذا أهل هلال رمضان" أو قولك: "إن زارك زائر". فالأول حاصل لا محالة، بينما الثاني من الممكن ألا يحصل نهائياً.

ومن نحو الخطاب قد يُحذف المفعول إذا دلَّ عليه دليل، كقوله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ" قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" (22). أي يسقون مواشيهم، والمرأتان تمنعان مواشيها العطشى حتى يُصدر الرعاة خوفاً منهم. ولم يُذكر المفعول به في الخطاب القرآني هذا لعدم تعلق غرضه.

ويحذف المفعول به أيضاً إما "لقصد إثبات الفعل للمخبر عنه مطلقاً من غير تخصيص بمفعول دون مفعول، كقولك: "فلان يضع ويرفع، ويضر وينفع، وينقض ويبرم، ويبي ويهدم، أي له جنس هذه المصادر في الناس، لا يختص ببعضها زيد دون عمرو، ومنه قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" (23) أي لا يقع ضحك ولا بكاء ولا إصاته ولا إحياء إلا وهو فاعله" (24)، ومنه قول الشاعر (25):

وَأَرْفَعُ وَضَعٌ وَاعْتَزِمُ وَانْفَعُ وَضُرَّ وَصِلٌ واقطع وقم وانتقم واصفح وخذ وهب

وفي نحو الخطاب حذفات كثيرة عدّها العلماء في نحو أربعة عشر ضرباً (26) كحذف الفعل وجوابه "فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ" (27) أي: "فيقال لهم أكفرتم"، كحذف المضاف والمضاف إليه مع إقامة كل منهما مقام الآخر "ولكن البرّ من اتقى" (28)، ونية الخطاب: ولكن البرّ برّ من اتقى، لأن حذف ما يلحق أولى من حذف ما يسبق، كقوله تعالى: "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً" (29) لدلالة كثرة الرجال على كثرة النساء، كقول الشاعر (30):

أكل امرئ تحسبين أمراً وناز توفد بالليل نازاً

أراد "كل ناز". ومما هو سائر بين البلاغيين "واسأل القرية" (31) أي أهل القرية.

وقد يتعدد المحذوف لتعدد ما يدل على حذفه، وإن إخلال بالدلالة العامة للخطاب، كقوله عز وجل: "قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا" (32) أي من تراب أثر حافر فرس الرسول.

ومن ذلك حذف الصفة والموصوف وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر من باب التعظيم له وإعلاء شأنه، لكون الصفة الحسنة التي صار يتصف بها عادت من تحصيل الحاصل لدى الخاص والعام "كان عمر بن الخطاب رجلاً، "كان عمر بن عبد العزيز خليفة"،... فالرجلان ليسا في حاجة إلى مدح وإثراء وإضفاء العدل والفضل والإحسان ونحو ذلك، وكذلك إذا حدث العكس "كان الاستعمار الفرنسي "البغيض أو المقيت..." في الجزائر جائراً"... أو حذف خبر لا النافية للجنس كما ورد في الحديث "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد" أي لا صلاة كاملة أو تامة. وأما حذف الموصوف فشرطه دلالة الكلم عليه، كقول امرئ القيس (33):

تَصَدَّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بناظرة من وحشٍ وَجَرَةً مُطْفِلٍ

أي عن خدّ أسيل، والأسيل هو الخد السهل الطويل، وكذلك: تتقي بعين ناظرة، فحذف الموصوف من كلا التركيبين.

غير أن نحو الخطاب في لغة كالعربية لأن أباح لك أن تحذف الصفة في تقدير خطابي بعيد (سِرَّ لَيْلٍ أي طويل) تارة، والموصوف أو المنعوت تارة أخرى كلما دلّت عليه صفته أو نعته، فإن هذا النحو لا يسمح بحذف الصفات أو النعوتات الجمليّة التي يكون بناؤها جملاً، كأن تقول: مررت ببُستانٍ عُشْبُهُ طَرِيٌّ" أو "صافحتُ شخصاً حَضَرَ رَفِيقُهُ".

على حين أن نحو الخطاب يسوّغ لك أحياناً أن تحذف الشرط "كلُّ بما كَسَبَ رهين" إن صالحاً فصالح، وإن طالحاً فطالح" أي إن كسبوا صالحاً فثوابهم صالح، وإن كسبوا طالحاً لَقُوا طالحاً ومنه قوله تعالى: "إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ، فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون" (34) حيث: إن: حرف نصب وتأکید.

أرضي: اسم إن منصوب بالفتحة المقدرة على الضاد لاشتغال عبادتي بحركة الياء المناسبة، وهو مضاف، والياء ضمير...مضاف إليه.

واسعة: خبر إن مرفوع.

ف: جواب شرط مقدّر (←) إن لم تستطيعوا على.... بأرضي، فاعبدوني في غيرها (وليس لنا إلا أرض واحدة طبعاً) ، فحذف الشرط...).

إِيَّايَ: مفعول به مقدّر عرضه الاختصاص والإخلاص لله تعالى، والياء لا موضع لها من الإعراب، جيء بها حتى يُعْلَمَ الغائب من المخاطب. فهي مثل الكاف في ذلك وذاك، وكالألف والنون التي في أنت "فيكون إِيَّا الاسم وما بعدها للخطاب وقد صار كالشيء الواحد، لأن

نحو الخطاب في العربية

جملة نصل الخطاب

الأسماء المبهمة وسائر المُكَيِّيات لا تضاف، لأنها معارف". وقال نحويون آخرون إِنَّ يَأْيَا مضاف إلى ما بعده مستدلّين بشاهد: إذا بلغ الرجلُ الستينَ فَيَأْيَاهُ وَيَأْيَا الشَّوَابَ" فأضافوها إلى الشواب (جمع شابة)...وقيل فيها غير ذلك.

فاعبدون: جملة فعلية إنشائية تقدّمتها جملة اسمية خبرية (إن أرضي واسعة).

والفاء: حرف عطف وتعقيب دون الإشراف.

اعبدوا: فعل وفاعل، والنون نون الوقاية، والياء المحذوفة (ضمير متكلم يعود على الإله)

مفعول به.

ما أقدمت على هذا التحليل الإعرابي المختصر إلا محاولة للوقوف على كيفية سير الخطاب وبنائه، وأن الوحدات اللكسيكية وحدها ستبقى عبارة عن رَزَمٍ وأكوام ولا يمكن رَصُّها وضَمُّ بعضها إلى بعض في غياب العناصر النحوية، وإلا تهاوت تهاوياً قبل أن تُبَيَّن.

ولذا، فإن من يزعم لنا أن النحو علم قد انتهى واحترق، فإنه زعم لا ينظر إلا سطحياً للخطاب، وهذا يبعد أيضاً المقولة اللسانية بأن القواعد النحوية مجال مغلق بعكس المفردات المعجمية، مع أن العناصر النحوية لا تُغْلَقُ في نص إلا لِتُفْتَحَ في نص آخر، فهي استوعبت القرآن الكريم وغيره، ولكن مجالها لا يزال، وسيبقى، مفتوحاً ما بقي الخطاب خطاباً، والتبليغ تبليغاً، وما كانت اللاتحة العناصر النحوية محدودة إلا لكونها قادرة على نسج خطاباتها دون اللجوء إلى استحداث سواها، ودون الدخول في متاهات فلسفية لا جدوى من ورائها، فإني أزعّم أن لغة كالعربية لم تُوجَدْ يوم وُجِدَتْ مفصولة عن مستوياتها أو مكوناتها البنائية، ولذلك يوم نشأت أول دراسة لغوية عربية نشأت كلاً لا يتجزأ.

ومن حذفات الخطاب خارج البنية السطحية حذف "لا" وهي مرادة أو مقدّرة في الخطاب، كقوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليهما السلام: "تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يوسف" مراداً بالبنية التحتية: "لا تفتأ" أي لا تزال. ومنه قول امرئ القيس⁽³⁵⁾:

فقلت: يمين الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لذيكَ وأوصالي

إن المضمرات والحذفات في العربية عالم نحوي دلالي بلاغي عزيز، لكن الخطاب الطبيعي يكون نحوه طبيعياً كالنصوص الجاهلية والقرآن ونصوص صدر الإسلام (بما في ذلك العهد الأموي) وما بعده بتفاوت ما رصده العلماء ونهّونا إليه، لكن بعد القرن الرابع الهجري لم يعد أحد يثق في أحد إلا بالرجوع إلى الصحف والتدوين، ومن ثم انقطع كل نحو طبيعي بانقطاع تواصل عربي فصيح طبيعي، وصار الخاص والعام عالة على ما قُعد من قواعد نحوية وصرفية...وهذا ما أفرز اجتراراً وتراكماً زاد النحو العربي الطبيعي عسراً وتعقيداً أكثر مما بسّطاه ويسّراه. والحق يقال، إن الدراسات القرآنية استغلت النحو الطبيعي بذكاء ودهاء

أفضل من الدراسات الأدبية. وحسبك أن ترجع إلى "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج وغيره مما عاصره وتقدمه لتثبت أو تنفي هذه الرؤية، علماً بأن أول دراسة نقدية وصلتنا (طبقات الشعراء لابن سلاّم) مهدت بتحليل نقدية لغوية لافتة، والشيء نفسه نجده عند ابن قتيبة في طبقاته ولدى المرزباني في موشحه، فضلاً عن الأمدي في موازنته، والجرجاني في وساطته،...

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- محاضرات في الألسنية العامة، ص: 147. ف. دي سوسور، ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر، ط: 1984، دار نعمان للثقافة، بيروت.
- 2- نفسه، ص: 155.
- 3- ديوان امرئ القيس، ص: 51، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 1964/2، دار المعارف، مصر.
- 4- النوادر في اللغة، ص: 127، أبو زيد الأنصاري، المطبعة الكاثوليكية، ط: 1894.
- 5- نفسه، ص: 127.
- 6- نفسه، ص: 150.
- 7- نفسه، ص: 38.
- 8- سورة المؤمنون، آية: 11.
- 9- النوادر لأبي زيدان الأنصاري، ص: 38.
- 10- المصباح المنير، ص: 385، الفيومي.
- 11- سورة البقرة، آية: 226، وسورة الحجرات، آية: 9.
- 12- سورة النحل، آية: 48.
- 13- الجامع الكبير، ص: 123، ابن الأثير، المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- 14- ديوان البحري، ص: 43، بيروت.
- 15- سورة البقرة، آية: 60.
- 16- سورة طه: 17 – 18.
- 17- ديوان الأعشى، ص: 155، ط: 1968، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.
- 18- سورة الحج، آية: 73.
- 19- المصباح المنير، ص: 309.
- 20- سورة الحج، آية: 73.
- 21- سورة الحجرات، آية: 6.
- 22- سورة القصص، آية: 23.
- 23- سورة النجم، آية: 43 – 44.
- 24- الإكسير في علم التفسير، ص: 184، الطوفي سليمان، ط: 1977، تح: د. عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة.
- 25- نفسه، ص: 184.

- 26- نفسه، ص: 178 – 198.
- 27- سورة آل عمران، آية: 106.
- 28- سورة البقرة، آية: 189.
- 29- سورة النساء، آية 1.
- 30- البيان في إعراب غريب القرآن، ص: 241/1، ابن الأنباري، تح: د. طه عبد الحميد طه، ط: 1969، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 31- سورة يوسف، آية: 82.
- 32- سورة طه، آية 95- 96.
- 33- ديوانه، امرئ القيس، ص: 16.
- 34- سورة العنكبوت، آية: 56.
- 35- ديوان امرئ القيس، ص: 32.